عنوان الكتاب: الــوسـطـيـة فـــي الإســـلام .

تأليف: العلامة الحبيب / عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

الطبعة الثانية

عدد الصفحات: 63

التنسيق الفني والتنفيذ الطباعي:

مكتبة تريم الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

حضرموت - تريم

هاتف: 417130 5 967 +    E.M: tmbs417130@hotmail.com

فاكس: 418130 5 967 +    OR: mab418130@ hotmail.com

جوال: 777418130 967 +    مكتبة تريم الحديثة (مجموعة) :Facebook

الكتب والدراسات التي تصدرها المكتبة لا تعني بالضرورة تبنّي الأفكار الواردة فيها؛ وهي تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي ..

# الوسطية في الإسلام

تأليف/ العلامة الحبيب

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

ضوئيا بـ CamScanner

## مقدمة

الحمدُ لله الملكِ الحقِّ المبين، الإلهِ الجوادِ العزيزِ الرحيم، بدأ الخلقَ وإليه يعود، يحكمُ بين الخلائقِ في اليومِ الموعود، فيما كانوا فيه يختلفون. أشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحدَهُ لا شريك له، سبقتْ رحمتُهُ غضبَه، فبرزتْ مظاهرُ الرحمةِ في إرسالِ الرسل، لتقويمِ نظرِ وفكرِ وعقيدةِ ومسلكِ الإنسان، الذي إذا تقوَّمتْ فيه هذه الأمورُ على وجهِها صارَ محلَّ الكرامةِ والإجلالِ من العالَمِ الأعلى، الذين أُمروا أن يسجدوا لأبينا آدمَ على نبيِّنا وعليه أفضلُ الصلاةِ والسلام.

ونشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنَا محمدًا عبدُهُ ورسولُه، أكرمُ عبادِهِ عليه، برزَ إلى عالَمِ الدنيا بأسمى معاني العبوديةِ للإله، والفهمِ عن الله، والهدايةِ إلى سبيلِ الله، والدلالةِ على الله، فكان الآيةَ الكبرى في هذا الوجودِ بسيرتِهِ وعقلِهِ ودلالتِهِ وإرشادِهِ وخُلُقِهِ وبيانِهِ وكمالِهِ الإنساني، صلى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومَن سار في سبيله إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

ضوئيا بـ CamScanner

أما بعد: فكما سمعتم من الأستاذ محمد[١] معاني سموِّ هذه الشريعةِ وعظمتِها، التي بها تُستَنقذُ البشريةُ من أوحالِ إشكالياتها ومنازعاتِها وتنكُّباتِها في الطريق، وحدوثِ أنواعِ القلاقلِ والمشاكلِ في حياتها الأولى، المؤدِّيةِ إلى شديدٍ من العقابِ والعذابِ في الحياةِ الأخرى، فإنقاذُ البشريةِ من كلِّ هذا في الشرائعِ السماويةِ التي نزلت من عندِ خالقِ الإنسانِ الذي هو أعلم به.

وهذه المعاني يجب أن تأخذَ مأخذَها مِن كلِّ فردٍ مِنَّا، ومِن كلِّ جماعة، ومن كلِّ مجتمع، ومن كلِّ دولة، حتى نكونَ في الحصنِ الحصينِ من الانزلاقِ أمامَ ما يعرضُ لهؤلاءِ البشرِ من الانحرافِ والانجرافِ وراءَ طَرَفَي الغلوِّ أوِ التفْريط، الغلو أو التقصير، الإفراط أو الإهمال، وفقهِ حقيقةِ الخيريةِ وحقيقةِ السموِّ لهذا الإنسان، من ضوءِ تعاليمِ خالقِهِ وإلهِهِ الذي خلقَهُ جلَّ جلاله وتعالى في علاه.

فالحاجةُ لذلك شديدةٌ وملحَّة، ولكنَّ كل الذي وصلتْ إليه الأمةُ من حالِ تَطاولِ عَدُوِّها عليها، وتمزُّقِ شملِهَا وتفتُّتِ جمعِها، وظهورِ الألوانِ الغريبةِ فيما بينها ناتجٌ عن تناسي هذه المعاني وفقدان حسنِ

---

(١) هو الدكتور محمد حسب الله رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة حضرموت. وقد ألقى كلمة طيبة تقديما للمحاضرة ذكر فيها سمو الشريعة وعظمتها وتضمَّنَها الحلول لجميع المشاكل التي يعاني العالم منها.



التفاعلِ من عقلِ هذا الإنسانِ وروحِه، وقلبِهِ ومداركِه، مع صافي الدَّلالاتِ والبياناتِ الواضحاتِ الإلهيات، التي بها حقيقةُ السعادةِ في الغيبِ والشهادةِ، في الدنيا والآخرة.

وقد أدركَ الكثيرُ اليومَ من مختلفِ فئاتِ الناس، حتى مِن فئاتِ أهلِ الكفرِ أنفسِهم ومختلفِ فئاتِ المسلمين أنَّ هناك حاجةٌ شديدةٌ إلى مسلكٍ متعلقٍ بالدينِ وسطٍ قويم، يجمعُ بين حُسنِ البيانِ وبين ثباتِ الاستقامة، بين التعظيمِ للأمرِ الإلهي وبين فقهِ ما فيه مِن جمالِ التفاهمِ والتعاملِ بين أصنافِ بني الإنسان.

سرى شعورُ هذه الحاجةِ عند الكثيرِ من الناس، بعدَ أن تكاثرت الورطاتُ من نقصِ الاتصال بحقيقةِ الإسلامِ الذي يُعبَّر عن مظهرٍ كبيرٍ من حقيقةِ القوامةِ فيه والاعتدال بالوسطيةِ التي هي موضوع حديثِنا، وإليها أشار الحق في الآيةِ الكريمةِ بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

ضوئيا بـ CamScanner

## الوسطية وسعة معناها في الشريعة

ولنفهمْ أولاً ما المرادُ بالوسطِ الذي نريدُ الحديثَ عنه، فمعنى هذه الوسطية ليس كما يتبادرُ في أذهانِ الكثيرِ أنه مجردُ الرقَّة، أو تعديلُ كيفيةِ التعاملِ مع بعضِ فئاتِ الناس.. بل الأمرُ أوسعُ من ذلك، الأمرُ أكبرُ من ذلك، حاشا لله أن يكونَ دينُهُ في يومٍ من الأيامِ عُرضةً لفكرِ بشرٍ يتحكَّمون فيه، أو يُجْرُونَهُ على مراداتِهم أو ما يصلون إليه.

إنه الذي يسمو بالفكرِ البشري، والنظرِ البشري، والتصوُّرِ البشري، والسلوك البشري، والإدراكِ البشري للأشياء .. يسمو به إلى ذروةِ الحسنِ والجمالِ والنقاءِ والصفاء والعلو الذي يُخَصَّصُ به الإنسانُ إذا فَقِهَ حكمةَ وجودِهِ في هذا الوجود، وعظمةَ الموجدِ الذي أنشأه من العدَم، وأقامَ ميزانَ التعاملِ أولاً مع الخالق الذي أنشأه وبراه، لينطلقَ في ميدانِ الحياةِ انطلاقاً على نورانيةٍ وعلى علمٍ إلهيٍّ من حضرةِ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علماً وأحصى كلَّ شيءٍ عدداً، وجميعُ خلقِهِ كما قال في محكم كتابه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥].

**الوسطيةُ** التي نريدُ الحديثَ عنها: فِقهٌ لحقائقِ الشريعةِ في مراتبها الرفيعة، يحتاجُ إليها البشرُ أشدَّ الحاجة، شعروا أو لم يشعروا .. وأحداثُ



الحياةِ مِن حولهم منبهاتٌ لحاجتهم إليها، منبهاتٌ لسموِّها وعُلوِّها فوقَ تفكيراتِهم وتصوراتِهم أيضا.

**الوسطيةُ** التي نريدُ الحديثَ عنها: حقائقُ توجيهاتٍ إلهيَّات، تلقَّاها أكرمُ الخلقِ والبريات، عن الإلهِ الحقِّ، فأُتْمِنَ على الأداءِ والبلاغِ للعالمين وللناسِ كافة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

إنَّ الذي قالَ هذه الكلمة هو خالقُ هؤلاءِ الناسِ بطِباعِهم وأفكارِهم المختلفة، وعقلياتِهم المختلفة، في أيِّ بلدةٍ كانت، في أيِّ دولةٍ كانت، في أيِّ قارةٍ كانوا من قاراتِ هذه الأرض .. خالِقُهم جميعاً إلى يومِ القيامة هو الذي قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] فلا يتأتَّى أن تشذَّ عن رسالتِهِ مصلحةُ شرقي ولا غربي، عربي ولا أعجمي، أوروبي ولا أسترالي ولا أمريكي ولا أفريقي.

هؤلاء الناس، خالقُ الناسِ أرسلَ إليهم سيدَ الناسِ بهذا المنهاج، فيجبُ أن يكونَ المنهاجُ شاملاً لما يحتاجُهُ هؤلاءِ كلُّهم بمختلفِ أفكارِهم، مُرقِّياً للكل، مُنقِّياً للكل، مُزكِّيا للكل، رافعاً للكلِّ عن حضيضِ التصارعِ على الفانياتِ والزائلات، إلى مستوى يليقُ بكرامةِ الإنسانية .. وهذا يجبُ أن يتركَّزَ في بالِنا وضميرِنا.

ضوئيا بـ CamScanner

إن هذه الوسطيةَ فقهٌ واسعٌ في شريعةِ الله الواسعةِ عن الله الواسع فيما أرادَ منَّا أن نقيمَهُ من ميزانٍ في أنواعِ التعاملات، بل والنظراتِ إلى الأشياءِ والتصورات، حتى يُحْكَمَ زمامُ الانطلاقِ مِنَّا بزمامٍ رصينٍ مِن العقلِ والشرع، وذلك أنَّ العقلَ هو وسيلةُ الفهمِ والتطبيقِ والتنفيذِ لهذا الشرع الذي هو النورُ المبينُ الذي جاءَ من الله تباركَ وتعالى.

## الوسطية حقيقة من حقائق الدين

مما يجب أن يترسَّخَ في أذهان أهل الإسلامِ أن الوسطيةَ والاعتدال حقيقةٌ من حقائقِ دينهم وشرعِهم المصون ودعوةٌ توجَّهت إليهم من الحق حملَها إليهم سيدُ الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، ومعنى ذلك أن تمكُّنَهم من الدين وتعمُّقَهم في فهمِه وعملَهم بمقتضاه هو الذي يمثل حقيقةَ الوسطية والاعتدال؛ لأن أسسَه وقواعدَه جاءت من لدن حكيمٍ عليمٍ جل جلاله.

إنما بقي سوء الفهم والغلو خارجًا عن الوسطية والاعتدال، كما يخرج عنهما التساهل والإهمال وعدم المبالاة بأحكام الحقِّ تبارك وتعالى، فلا هذا الإهمال والتقصير ولا ذاك الغلو والتنطُّع يمثِّل حقيقةً في الدين، وبالتالي لا يمثل حقيقةً في وسطيةٍ ولا اعتدال، ولكن حسنَ التمسك بالهدي النبوي والأخذ بالقواعد والضوابط الشرعية في النظر إلى الأشياء والتعامل مع الناس، بل وفي العبادات نفسها بالقيام بحقها هو الذي يكون وسطية ويكون اعتدالاً أي خروجًا عن الطرفين المذمومين: الإسراف والغلو أو الإهمال والتقصير.

وحينئذٍ فدعوته صلى الله عليه وآله وسلم أن نكون مع خيار الأمة والسواد الأعظم منها فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، مع حرصنا

ضوئيا بـ CamScanner

على الإقتداء به في هديه في التعامل هو الذي يمثل حقيقةَ الوسطية التي تغيب حقيقتُها عن القلوب بسبب الجهل بحقائق الدين، وذلك لسببين رئيسيين هما:

- الأول: قلّة العلماء المؤدين لهذا الدور وعدم فسحِ المجال لهم في كثيرٍ من الشئون.
- الثاني: وجود طرحٍ مدعومٍ يوحي إلى المتلقّين تصوراتٍ عن الدين منافيةً لحقيقته، بها يندفعون بشتى من الدوافع ومنها عن حسن النية فيأخذون بتصوُّرهم الأمرَ على غير وجهه مجانبًا عن الصواب فتنشأ أنواعٌ من سوء النظرة إلى الغير وسوء الظن بالغير وسوء التعامل مع الغير تخرج عن حد الوسطية في العبادة وفي المعاملة والعياذ بالله تبارك وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يعين على إزالة السببين معًا وذلك بالاعتناء بشأن العلم الموروث الخالص الصافي، وبشأن إبعاد منابع الإذكاء لنارِ التصور المشوَّه عن حقيقة الإسلام وإلقائها على الناشئة والأبناء ونشرها عبر وسائل الإعلام.

❑ ❑ ❑



## الوسطية في الغضب والشهوة

خُلِقَ الإنسانُ وسُلِّطَت عليه شهوةٌ وغضب، فهما في طبيعةِ كلِّ إنسان، فإن انساقَ لدواعي شهوتِه وغضبِهِ يحدثُ في الأرضِ أنواعُ الشَّره، أنواعُ الاعتداء، أنواعُ التطاولِ على حقِّ الغير، أنواعُ الانحطاطِ في الرذيلة .. فيحدث كلُّ ذلك مهما قاد الإنسانَ غضبُهُ وشهوتُهُ بلا زمام.

ولكن إذا جاء زمامُ الشرعِ والعقلِ فَقادَ الإنسانَ هذَّبَ غضبَه، لتنبعثَ منه الشجاعةُ والغَيرةُ المحمودة، والتفكيرُ الحسن، والتخطيطُ المتقَن، وفقهُ التعاملِ في الحياة؛ وأدَّب تلك الشهوةَ وزكَّاها، لتنبعثَ من الإنسانِ الرغباتُ الساميةُ، والإرادةُ القويةُ للدرجاتِ العالية.

فإذا تأدَّب الغضبُ والشهوةُ بزمامِ العقلِ والشرعِ قامَ الإنسانُ على الوسطيةِ المحمودة، فصارَ الغضبُ عُدَّةَ الشجاعةِ المحمودة، عُدةَ الغَيْرةِ المحمودة، عُدةَ الحفاظِ على القيَمِ وعلى المنافعِ الحقيقية؛ وصارتِ الشهوةُ وسيلةَ الرغباتِ القوية، في الدرجاتِ العلية، والسموِّ بهذا الإنسان، قائمةً على معاني العفةِ والطهارةِ والنقاء.

❑ ❑ ❑

ضوئيا بـ CamScanner

## حاجة الإنسان إلى التزكية

إنَّ الفسادَ الذي يلحقُ بالإنسانِ لما يقودهُ الغضبُ والشهوةُ بلا زمامٍ من العقلِ والشرع، تنشأُ عنه الاستِشاطةُ غضبًا للنفس، والتعالي، والتكبر، والصَّلف، والبذخ، والرياء، واحتقارُ الغير، وانحطاطٌ في السلوك، وأنانية، واحتقارٌ للغير، واستعلاءٌ في النفسِ.. إلى غيرِ ذلك، ينتجُ كلُّ ذلك عن تلكَ الشهوةِ وعن ذلك الغضب.

لأجلِ هذا جاءت بعثةُ الأنبياءِ لتزكيةِ هؤلاءِ البشر، وكرَّرَ اللهُ ذلك في الكتاب العزيز، وجعَلَ المزكِّي لنا رسولَهُ المصطفى محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فمنَّةُ الله قد وصلَت، فما هو مظهرُ منَّتِك يا رب علينا؟ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن



قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]. وقال جل جلاله: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١-٧] مظاهرُ الوجودِ كلُّها أقسَمَ اللهُ بها على ماذا؟ قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩-١٠] حتى لا تغرَّنا مظاهرُ الوجودِ وتمنَعنا عن تزكيةِ هذه النفسِ، فننطلقَ وراءَ أيِّ مظهر.

والتربيةُ هي تلك التزكية التي تولى اللهُ تعالى بيانَها، وأوكل إقامتَها إلى خيرِ خلقِهِ محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذه التزكيةُ التي أقسمَ الله على حصول الفلاح لأصحابها، والفلاح هو الفوز والسعادة، لا في مجالِ النفسِ وحدها، ولا في مجالِ الاقتصادِ وحدَه، ولا في مجالِ الاجتماعِ وحدَه، ولا في مجالِ السياسةِ وحدَها، ولا في مجالِ الفكرِ وحدَه، ولا في مجالِ الدنيا وحدَها.. الفلاحُ في كلِّ هذه النواحي والمجالاتِ في الدنيا والآخرةِ لمن زكَّى هذه النفس، فلن يفلحَ مَن لم يأخذْ هذه التزكية، وإن عمِلَ ما عمل، وانطلقَ ما انطلقَ في الحياةِ وهو منقطعٌ عن هذه التزكيةِ التي يرتفعُ بها شأنُ الإنسان.

لذلك يجبُ أن نفهمَ من هذه الوسطيةِ اعتدالٌ في المسلكِ ناتجٌ

ضوئيا بـ CamScanner

عن فقهٍ في التوجيهِ الإلهي ومعرفةٍ بحقائقِ المنهجِ الذي اختارَهُ اللهُ تبارك وتعالى لعبادِه، فهو إخراجٌ وتطهيرٌ وتخليصٌ للإنسانِ من شوائبِ الهوى المُردي وتسلُّطِ الأغراضِ الحقيرةِ القصيرةِ عليه، حتى في العباداتِ، كما هو في أنواعِ التعاملاتِ بل التصوراتِ والنظراتِ والاعتقادات.

فهو منهجُ اعتدالٍ من شأنِهِ رفعُ صاحبِهِ عن حضيضِ هواه وأغراضِ نفسِهِ الدنيَّة إلى مستوى الطاعةِ الحقَّةِ للإله والقيامِ في هذا العالم بتنفيذِ أمرِهِ والخلافةِ عنهُ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

❑ ❑ ❑



## الأمة الوسط بين الأمم

بحسنِ قيامِنا بمنهجِ الله نتهيأ لأنواعِ السعاداتِ، حتى ننتهي في أوجِها وعلوِّها إلى أن جميعَ الأممِ تَقِفُ فنكونُ نحن شهداءَ عليها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] تكونونَ في مرتبةِ الإشرافِ على الأممِ السابقةِ قبلكم فتشهدون لأنبيائِهم بالتبليغ.

وقد جاءنا في صحيحِ البخاري عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**يُدعى نوحٌ يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير**» وقد مكث فيهم ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاما! لكن هذه طبيعةُ البشرِ إذا لم يُزَكَّ ويعرِف الوسطية، إذا لم يُخلَّصْ من شوائبِ الهوى .. الشهوةِ والغضب، وبَراثن الاستعباد للرغباتِ القصيرة، فيمكنُ أن ينكرَ الشمسَ في رابعةِ النهار . يبلِّغُهُم ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاما، ثم يقولونَ ما أتانا مِن نذير، وحالهُ بينَهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ٧-١٠] إلى آخرِ الآيات ..

ضوئيا بـ CamScanner

مع ذلك يقولون ما أتانا من نذير! فما أخطرَ حال الإنسان إذا لم يتزكَّ، وإذا لم يتنوَّر بنورانيةِ الأدبِ الإلهي، والتأديبِ الرباني، إذا لم يخرجْ عن أسرِ مطامعِ نفسِهِ إلى أوجِ قَصدِ وجهِ ربِّهِ جلَّ جلاله، فالإنسانُ في هذا الحالِ على انحطاطٍ شنيع.

قال: «فيقول الله: يا نوح ألم تبلِّغهم؟ يقولُ: يا ربِّ بلغتُهُم ولكنَّهم كذبوني، يقول الله: فمَن يشهدُ لك؟ قال: فيقولُ أمةُ محمد، فيُؤتى بخيارِنا معشرَ الأمةِ المحمدية، أتشهدون أن نوحًا هذا بلَّغ قومَه؟ فيقولون: نعم يا ربَّنا نشهدُ أنه قد بلَّغَهم وأنذَرَهم وقام فيهم ليلاً ونهارًا، وسرًا وإجهارًا، وما ازدادوا إلا نفورا، فتقولُ أمةُ نوح: يا رب كيفَ عرفوا ذلك وقد جاءوا من بعدِنا؟ قال: فيقول الله: كيف عرفتم ذلك يا أمةَ محمد؟ فيقولون: إنَّكَ أرسلتَ إلينا رسولاً هو عبدُكَ محمدٌ بكتابٍ أخبرتَنا فيه أنَّه بلَّغهم هذا البلاغ، ونحن شهِدنا بقولك، قال فيقولُ: فمن يشهدُ لكم أنتم؟ فيقولون: نبيُّنا محمد»[1] فيُؤتى بالنبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، ويكونُ الشهيدَ الأعلى في العالم الخَلقي على الخلائقِ أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبهِ وسلَّم ﴿لِّيَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

(١) أصل الحديث رواه البخاري في كتاب «التفسير» - باب: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (الحديث: ٤٢١٧)، والترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث: ٤٠٤٠).



ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣][1].

يقول ربُّكم في الآيةِ الأخرى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] انتهى إليها ابنُ مسعودٍ وهو يقرأُ على نبيِّكم صلى الله عليه وآله وسلم فأشارَ إليه أن حسبُك الآن. قال ابن مسعود: فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان بالدمع[2]، مِن تَذكُّر هذا الموقف للتكريم لِمَن قَبِلَ الكرامةَ في يومِ القيامة، وهي الشهادةُ على الناس.

فبوسطيَّتِنا نترقى إلى مراتبَ عظيمةِ السمو، حتى نكون الشهداءَ على الناس.

فهل هي مجرد تصورٍ منقطعٍ قصيرٍ أن نتعاملَ مع فئةٍ معينةٍ من

(١) نص الحديث الذي رواه البخاري: يُدعى نوحٌ يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلَّغ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

(٢) رواه البخاري في كتاب «التفسير» - باب: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (الحديث: ٤٣٠٦)، ومسلم في كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» - باب: فضل استماع القرآن (الحديث: ٢٤٧).

CamScanner

الناس!؟ بل الأمر أكبر من ذلك كما تبيَّن من عظمة هذه الشريعةِ التي جاءتْ من عندِ العالم بكلِّ شيء، وكيف أنه أصابَ الناسَ ما أصابهم حين جهلوا حقائقَها.

## منهج الوسطية في الدعوة إلى الإسلام

إن من ضرورةِ نصرةِ الدين والتبليغِ عن الحقِّ ورسوله وهداية الخلق والدعوة إلى الإسلام أن يُعتَنى بجمال وكمال التعاليم لتبرز على وجهها الحسَن المنير، وذلك بتثبيتِ قاعدة اليُسر وحسن الخلق والعفو عند المقدرة والتسامح بين المسلمين، حتى يترجم كلٌّ منهم ذلك في سلوكه وفي أسلوب دعوة غيره من المسلمين ومن غير المسلمين.

وقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا، وسكِّنوا ولا تنفِّروا**»[1]. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**علِّموا، وبشِّروا ولا تعسِّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت**»[2] وفي لفظ آخر: «**علِّموا ويسِّروا ولا تعسِّروا، وإذا غضبتَ فاسكت، وإذا غضبتَ فاسكت، وإذا غضبت فاسكت**»[3]. وذلك هو المسلكُ الذي سلكَه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس (الحديث: ٥٧٧٤) ومسلم كتاب الجهاد والسير - باب الأمر بالتيسير وترك التنفير (الحديث: ١٧٣٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٣) رواه الإمام أحمد أيضا والطبراني في «المعجم الكبير».

ضوئيا بـ CamScanner

ودعا أمتَه إليه بقوله وبفعله، ومن هذا المنطلق وبهذا الأساس دخل أكثرُ من دخل في الإسلام على مدى القرون ودانوا بدين الحق.

وفي تشييدِ بناء هذا الوصف الكريم تفويتٌ لمحاولات الصدِّ عن دين الله، وسدٌّ لثغرات التطاول على دين الله تبارك وتعالى في كثيرٍ من الأحوال والأحيان والظروف، وفيه أيضا فتحٌ لأبواب الإجابة والاستجابة وبروز حقائق الدين بين الخلق، فهو سببٌ لإقبال الكثير على دين الله وهداية كثيرٍ من الكفر إلى الإسلام، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن العصيان إلى الطاعة. فإن الغلو والتساهل والإفراط والتفريط في كل أمرٍ تُخرِجه عن جادة الصواب، وتبعث كثيرًا من المشكلات، وتؤدي إلى أنواعٍ من الاضطرابات.

فوجب التمسك بالاعتدال والوسطية كما أرشدَنا خير البرية صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فإن كلا طرفي قصدِ الأمور ذميم.

❑ ❑ ❑



## منهج الوسطية طريقٌ للنجاة

الوسطيةُ تخلُّصٌ من الهوى في العباداتِ والتصوراتِ والأفكارِ والمعاملات، حتى لا تقودَنا المصالحُ والمطامعُ ولا المخاوفُ إلى أن نكونَ على شططٍ أو ميلٍ عن سواءِ الحق وسواءِ السبيل، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] جاءت هذه الآيةُ بين آياتِ تحويلِ القبلةِ من بيتِ المقدسِ إلى الكعبة، كيف ذلك؟ نقول: تتبينُ الوسطيةُ في التخلصِ من أسواءِ الانجرافِ وراءَ الأغراض إلى إقامةِ التبعيةِ للحقِّ عبرَ رسولِهِ المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فلما أُمرَ الناسُ أن يتحوَّلوا من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ المشرَّفةِ شقَّ ذلك على اليهودِ وعلى المنافقين، قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] ثم يقول الحق: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إذن الأخطاءُ التي حصلت من بعض المسلمين حتى أدَّت إلى استغلالِ الكفارِ على ظهر الأرضِ ألفاظَ الإرهاب، التطرف،

ضوئيا بـ CamScanner

الأصولية، الغلو .. إلى غير ذلك، لينالوا من المسلمين، المتعجرفِ منهم والمتأنِّي، الصادقِ منهم والواقعِ في حبالِ الأغراض، صاحبِ الجهلِ المركبِ وصاحبِ العلم أحياناً بالشيء، لينالوا من الكلِّ بسببِ ذلك الاختلالِ في فهمِ هذه الشريعةِ المطهرةِ والقيام بأمرِها وواجبِها الناشئ عن دخولِ الأهواءِ والتصوراتِ الفاسدةِ والنظراتِ غيرِ المستقيمةِ إلى أفكارِ فئاتٍ من المسلمين وجماعاتٍ فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] - أي نظهرَ علمَنا بين البرايا - ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [البقرة: ١٤٣] - أي ثقيلة وشاقة - ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] اللهم اهدنا بهداك ..

ربي إنَّ الهدى هداك وآيا ... تُك نورٌ تهدي بها مَن تشاءُ

ألا إننا في حاجةٍ إلى هذه الهدايةِ من ربِّنا لنَعرِفَ كيف نخرُج إلى هذه الحياة، منطلقين من أسسٍ صالحةٍ لا تعودُ إلا بالخيرِ علينا ظاهرًا وباطنًا في الدنيا والآخرة.

## بين غلو اليهود وتفريط النصارى

التخلصُ من الأهواء بصِدقِ التبعيَّةِ لهادينا لسواءِ السبيلِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يترتبُ عليه أن لا نُفرِطَ ولا نُفَرِّط، قال بعضُ المفسِّرين كالإمامِ الكلبي وغيره في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان[1]، بين غلو النصارى وتقصيرِ اليهود.

فكم وقعَ في العقائدِ في كتبِ اليهودِ كلامٌ عن الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام مُخزٍ يَندى له الجبين، انحطوا في تصوُّرهم عن الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام إلى أسوءِ الأماكنِ والمجالات، وهم - أي الأنبياء - أصفياءُ الله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

ثم يأتون هم والنصارى في الجانبِ الآخرِ فيُغالون غلوًّا، حتى يقولَ اليهود: عزيرُ ابن الله، ويقول النصارى: المسيحُ ابنُ الله، ثم يقولون: الله ثالثُ ثلاثة، ويجعلون مريمَ وابنَها عيسى إلهين مع الله جلَّ جلاله في تصوُّرِهم الفاسدِ الكاذبِ الخاطئِ البعيدِ عن المنطقِ والواقع،

(١) نقله عنه البغوي في تفسيره: الجزء الأول صـ٢٢.

ضوئيا بـ CamScanner

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[المائدة: ٧٥] أكلُ الطعامِ في مظهر للعبودية، والحاجةِ البشريةِ للأكلِ أيضاً، واضطرار صاحبِه إلى إخراجِ وإفرازِ الفضلاتِ منه، وهذه كلها بعيدةٌ عن أوصافِ الإله، فاكتفى الله تعالى بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[المائدة: ٧٥] تنبيهاً على تلك الحقيقة، مع ثنائهِ على عيسى بالرسالة، وعلى أمه بالصدِّيقية، وأعلى المراتبِ في الولايةِ هي الصدِّيقيَّة، وأعلى المراتبِ بين البشرِ الرسالةُ والنبوة، فوصفَ عيسى بالرسالةِ ووصفَ مريمَ بالصدِّيقيةِ ثم قال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[المائدة: ٧٥] هذه هي الوسطية، فلا يجوزُ احتقارُهما، ولا إنزالُ قدرِهما، ولا رفعُهما إلى مستوى الإله، ولا البنوَّةِ للإلهِ الذي تعالى أن يكونَ له والدٌ أو ولد: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

❑ ❑ ❑



## منهج الوسطية في أدب الصحابة مع المصطفى

جاء المنهج عن ساداتِنا الصحابةِ في أدبِهم مع المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمهم له فيه سموٌّ وغايةٌ عجِبَ الكفارُ أنفسُهُم منها، وقال عروةُ بن مسعود: والله لقد وفدتُ على كسرى في مُلكِه، وعلى قيصرَ في مُلكه، وعلى النجاشي في ملكِه، فما رأيتُ أحدًا يعظِّمُ أحدًا كما يعظِّمُ أصحابُ محمدٍ محمدا[1]، ومع ذلك ليس فيهم مَن نفى عنه البشرية، ولا مَن نسب له البنوَّةَ إلى الحقِّ تبارك وتعالى، ولا أخرجَهُ عن ميدانِ العبديةِ الذي هو فيها في أعلى المستوياتِ وأشرفِ المراتبِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

وهكذا مسلكُ الأمةِ فيما بعد، لم تعرف ذلك الغلو، ولم تعرف الاستهانةَ ولا الحطَّ من المكانةِ لمن رفع اللهُ لهم المكانة؛ ولقد كانوا يجلسون عندَ نبيِّنا كأنَّ على رؤوسهم الطير، ولقد كادوا أن يقتتلوا على وَضوئه إذا توضأ، حتى إن بلالاً ليجمعُ وَضوءَه في الإناء، فإذا فرغ وانصرف أقبل الصحابةُ متزاحمين على قطراتٍ من الماءِ لامسَتْ جسدَ نبيِّهم المصطفى محمدٍ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» والطبراني في «الكبير».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب – باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث: ٣٣٧٣)=

ضوئيا بـ CamScanner

مضَوا على مثلِ ذلك الحال، وعرفوا من معاني هذه الوسطيةِ ما أقاموا به حقيقةَ الشريعة، في التعاملاتِ مع الأوامرِ مع النواهي مع العبادات، مع التَّخاطبات مع أهلِ النفاق، وأهلِ الذِّمة، والحربيين، والمعاهَدين وأهل الصلح ..، وخاطبوا كلاًّ بتلك التربيةِ النبويةِ المحمدية، التي سمعوها وشاهدوها في ذاتِ المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وكانَ من مظهرِها أنَّ بعضَ الصحابةِ يفكرُ في تبديلِ أسامة بن زيد من قيادةِ الجيش، الذي عقدَ لواءَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر حياته، ويرى استبدالَه بغيرِهِ نظرًا لخطورَةِ الموقفِ وشدتِه، فجاءت وسطيةُ أبي بكر تقولُ لهم: إني قد تعلمتُ من صاحبي الذي صاحبتُهُ قبلَ الوحيِ وبعدَ الوحي إلى أن لقيَ ربَّه صلى الله عليه وسلم، أن أكونَ تبعًا له ولأمرِه، لا لمجردِ فكري ولا لنظري إلى الأشياء.

= ونصه: عن عون بن أبي جحيفة، ذكر عن أبيه قال: دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالأبطح في قبة، وكان بالهاجرة، خرج بلال فنادى بالصلاة ثم دخل، فأخرج فضلَ وَضوءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقع الناس عليه يأخذون منه .. الحديث.

كما أخرجه مسلم في كتاب الصلاة – باب سترة المصلي (الحديث: ٥٠٣) ونصه: عن عون بن أبي جحيفة أن أباه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قبةٍ حمراء من أدم. ورأيت بلالا أخرج وَضوءا. فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوَضوء، فمن أصاب منه شيئا تمسَّح به، ومن لم يصب منه أخذ من بللِ يدِ صاحبِه.



ولمَّا خاطبوه أن يولِّيَ غيرَ أسامة أعلنَها وقال: أنا أحِلُّ لواءً عقدَهُ رسولُ الله بيدِه!؟ لا والله، أولُ عملٍ أبدأ به في خلافتي تنفيذُ جيشِ أسامة، بعد أن سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «**أنفذوا جيش أسامة**»[1]، فكان في هذا الموقِفِ العجيبِ البديع، البعيدِ عن الهوى، وعن تحكيمِ الفكرِ أمامَ استعمالِ النصِّ الوارد، وعن الفكرِ للارتقاءِ إلى تطبيقِ النص، حتى راجعوه مرةً أخرى في الكفِّ عن مانعي الزكاة، بأن يترك قتالهم حتى ينتهوا من قتالِ غيرهم فقال: «لا، والله لو منعوني عقالَ بعيرٍ كانوا يؤدونه لرسول الله لجالدَتهم عليه، أما أن ينقصَ الدين وأنا حي فلا»[2].

ولكنَّ هذا التعاملَ لم يستبِح به مِن مانعي الزكاةِ أعراضًا، ولا أن يعدَّهم كفارًا ولا أسرى، بل يقيمُ بينَهم الشرعَ كما يحبُّ الله، ويخرجُ

(١) رواه ابن عساكر . انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد: ٢/ ١٨٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان – باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (الحديث: ٢٩) عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلِف أبوبكر بعده وكفر مَن كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقِّه وحسابُه على الله، فقال أبوبكر: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعِه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت اللهَ عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

ضوئيا بـ CamScanner

منهم الزكاةَ في غايةٍ من ذلك الاعتدال.

وبهذه الوسطيةِ دبَّ الرعبُ في قلوبِ أعداءِ الله، وقالوا: لو كان بهم ضعفٌ ما قاتلوا أصحابَهم الذين منعوا الزكاة .. فكان ذلك من جملةِ أسبابِ النصرة.

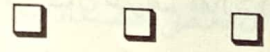



## الوسطية منهاج في التعامل والعبادة

**فالوسطيةُ عندنا**: ارتفاعٌ عن هوى النفسِ وأغراضِها الدنيئة فيما نتعاملُ به مع الله تبارك وتعالى ومع خلقِهِ من أجلِه، وفي ضمنِ ذلك الفهم مضتْ خِلافةُ الصدِّيقِ على الالتزام بالآدابِ النبوية حتى وسطَ الحربِ ووسطَ المعارك، وعلى إفاضةِ روحِ الإسلامِ بمعناها وحقيقتها على من كفرَ وعلى من تجبَّرَ وعاند، فيرَونَ أمامَهم جبالاً شامخةً من الصبرِ والثباتِ والصدقِ والعزيمة، فيَّاضةً بالعدلِ والإحسانِ والخلقِ والوفاءِ والقيامِ على العهدِ والأدب.

فأحسَنوا التعبيرَ عن هذا الإسلامِ بلا إفراطٍ ولا تفريط، وهكذا قام الأمرُ بينهم؛ ولقد كانَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب يقول لبعض مواليه[1] - والفتوح تُفتح هنا وهناك - : أسلم فإنك لو أسلمت استعنتُ بك على أمانة المسلمين، فإني لا أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم، قال: فأبيتُ عليه، فقال لي: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦][2] انظر كيف يحسنُ عمر عرضَ الإسلام، والدعوةَ إلى الإسلام، وتيسيرَ السبيلِ للإسلامِ ومساعدته على ذلك وتشجيعه بقوله أستعملك في شيءٍ من

(١) وهو وسق الرومي.

(٢) الأثر رواه ابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

ضوئيا بـ CamScanner

الولايات، ولكن بعدَ ذلك لا يُكرِه ولا يَقتل ولا يتعصَّب ولا يلعن ولا يسب، هكذا ربَّاهم سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وعمر مَن هو في غَيرتِهِ وفي شجاعتِهِ وفي جهادِهِ واجتهادِهِ رضي الله عنه وأرضاه.

نجدُ تلك المعاني في الموازين تقومُ على هذا الأساس، حتى في العبادات، ولذا جاء أنه لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولَ الذين يقول أحدهم: لا أفطرُ أبدا، والثاني يقول: لا أنام الليلَ أبدا، والثالث يقول: لا أتزوجُ النساء، ردَّهم إلى الاعتدال وقال: «**أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغبَ عن سنتي فليس مني**»[1] صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، ومع ذلك حذَّرَ المتهاونين عن أداء الواجبات، وشجَّع المتهاونين بالمندوباتِ على القيامِ بها، وأكثرَ حثَّهم وحرَّكَ هِمَمَهم وعزائِمَهم، وبالغَ في ذلك أمانةً منه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم.

إذاً فمُداخلاتُ الهوى لعباداتِنا يُفسدُ منا تلك العباداتِ ويذهبُ روحَها، حتى بيَّن صلى الله عليه وآله وسلم بيانًا واضحًا عن أقوامٍ

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح - باب: الترغيب في النكاح (الحديث: ٤٧٧٦)، ومسلم في كتاب النكاح - باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (الحديث: ١٤٠١).



لا يفقهون القيامَ بأمرِ الله والتعاملَ بشريعةِ الله، حتى ينصرفوا لقتالِ المسلمين قبل الكفار، ويستحِلُّوا منهم دماءً وأعراضًا ومع ذلك يصفهم بظواهرِ عبادات، وأعمالٍ صالحاتٍ لا روحَ لها، قال صلى الله عليه وسلم: «**يحقرُ أحدُكم صلاتَهُ عند صلاتِهم وقراءتَهُ عند قراءتِهم لو أدركتُهُم لأقتلنَّهم**»[1] سبحان الله .. كيف تقتلُ هؤلاءِ المصلين!؟ يقتلهم بالنبوة، لِما قام وثبتَ عندَهُم من الخروجِ عن المنهجِ والاستحلالِ لما حرَّمَ اللهُ تبارك وتعالى، فما كانت المسألةُ مظهرَ عبادةٍ ولا مظهرَ إيمان، ولكن حقائق تقرُّ في القلوب.

**أيها الإخوان**: نحتاجُ إلى أن تتوطنَ تلك الحقائقُ قلوبَنا لننطلقَ على تلك الوسطية التي علَّمتْ أصحابَ نبيِّنا الإحسانَ إلى الأسرى من الكفارِ الحربيين، في وقتِ شدَّةِ المقابلةِ والمقاتلةِ بينهم، حتى آثروهم بأجودِ الطعامِ الذي يقعُ في أيديهم، فيقعُ في أيديهم الخبزُ والتمر، وكان التمرُ قد يتوفرُ أكثر من الخبز، وكان الخبزُ طعامًا أجود عندهم، فكانوا يَخُصُّون به أسرى أهلِ بدر، من السبعين المشركين الذي قاتلوهم، الذين قاتلوا نبيَّهم وأخرجوه من بلدِهِ وآذوهُ أيام كان بمكة. فو الله ما قاتلَ رسولُ الله تشفِّيا ولا غيظا ولا لغرضٍ من الأغراض، ولكن لله وبالله، ولتكونَ كلمةُ الله هي العليا.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي - باب بَعث علي بن أبي طالب (الحديث: ٥/ ٢٠٧). ومسلم في كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم (الحديث: ١٤٥) (١٠٦٤).

ضوئيا بـ CamScanner

## الوسطية في بيان معنى الجهاد

بيَّنَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميزانَ الوسطية في معنى الجهاد عندما سئل: يا رسولَ الله الرجلُ يقاتلُ للمغنم، والرجل يقاتل حميَّة، والرجل يقاتل ليُرى مكانهُ، أيُّهم في سبيلِ الله؟ قال: «**من قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيلِ الله**»[1] جعلَ ذروةَ سنامِ الإسلامِ الجهادَ ثم قال: «**رُبَّ قتيلٍ بين الصَّفَّينِ اللهُ أعلمُ بِنيَّتِه**»[2]. فخُذِ الجهادَ بوسطيَّته، بحقيقتِهِ بصدقِهِ بإخلاصِه، ولا تجعلْهُ صورةً تندفعُ فيها إلى مجرَّدِ المقاتلة.

ولا يُحصرُ الجهادُ في القتال، فالقتالُ بابٌ من أبوابِهِ لا يُقْفَلُ إلى يومِ القيامة وهو قائمٌ على محلِّهِ وموازينِهِ في الشريعَة، لا على الهمَجية، ولا على الاندفاعِ النفسي، ولا على الاندفاعِ الناشئِ عن التصوُّرِ الخاطئ والفهمِ الخاطئ لهذه الشريعة، بتلقِّيه عن انفصالٍ في السندِ إلى مصدرِه، فمفاهيمُ النصوصِ كتابًا وسنةً حملَها إلينا سندُنا من الصحابةِ إلى التابعين إلى تابعِي التابعين، إلى علماءِ وخيارِ أهلِ كلِّ زمانٍ في الأمةِ المحمدية

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد - باب: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} (الحديث: ٧٠٢٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: {من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا} (الحديث: ١٩٠٤).

(٢) رواه أحمد عن ابن مسعود.



إلى وقتِنا هذا.

والمفاهيمُ من غيرِ هذا الطريقِ تكونُ جانحةً بأصحابِها عن سواءِ السبيلِ ما بينَ الغلو والتقصير، وما بين الإفراط والتفريطِ وعدمِ المبالاةِ بعظمةِ هذا الدين الذي نحتاجُهُ ويحتاجُه كل مَن معنا اليومَ على ظهرِ الأرض؛ وبحمدِ الله ما من دولةٍ من الدول إلا وهناك نسبةٌ من المسلمين اليومَ فيها، ولو انتشرَ الفقهُ بحقائقِ الدين لأتينا الدولَ التي تحاربُ الإسلامَ في الخارجِ مِن عُقْرِ دارِها، وفي وسطها، بتلك الوسطيةِ التي تفوِّتُ الفرصةَ على المعتدِي والطاغي والظالم، والمتربِّصِ الذي يريدُ مدَّ اليد بغيرِ حق.

فما أحوجَنا إلى فقهِ الحقيقةِ التي بُعِثَ بها المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .. وبها كانَ بعضُ أبناءِ اليهودِ يتردَّدُ إليه في بيتِهِ الشريف، ويحضرُ معه في مواطنِهِ ويقومُ بخدمتِه، ثم يمرضُ ذلكَ الغلام، ويأتي سيدُ الأنامِ زائرًا لليهودي وسطَ دارِ أبيه اليهودي، ويدخُلُ عليهم ويجلسُ بينَهم، ويخاطبُ ذلك الغلامَ بقوله: «**يا غلام اشهدْ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله أشهدُ لك بها يومَ القيامة**» ففتح عينيه ونظرَ في أبيه، فالتفتَ أبوه، وقد رأى في سيدنا محمدٍ حقيقةَ الإسلام، حقيقةَ الدين، حقيقةَ الوحي، وهو يهودي على يهوديَّته، لكنه رأى ابنَه مشرفًا على الموت، وعرفَ أن الحقَّ مع هذا النورِ المتلألئ، وهذا الوجهِ المنير،

ضوئيا بـ CamScanner

فأشار على ابنه: أطعْ أبا القاسم، فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، وماتَ عقِبَها، فخرج صلى الله عليه وسلم متهلِّلا وجهُه فرحًا يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**»[1] ما أعظمها من رحمة! ألا يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيرةَ اليهود؟ ألا يعرفُ أخبارَهم السابقة؟ ألا يعرفُ أحوالَهم عنده في المدينة؟ وقد خانوه أولاً وثانياً وثالثاً، ولكن كل ذلك لم يجعلهُ يفتحُ الأبوابَ ليعيثوا فسادًا بين المسلمين، ولا ليمدُّوا أيديَهم على المسلمين، ولا حملَه على أن يسدَّ الأبوابَ في وجوهِهم عن فهمِ حقيقةِ الدين، وحُسن التعاملِ الذي كان يحملُهُ نبيُّنا الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سيدَنا عمر بن الخطاب يقرأُ في صحيفةٍ من التوراةِ التي قد حُرِّفَت، أرشدَ إلى أن الوسطيةَ عندنا لا تخرجُ بنا إلى حدودِ أن يؤثِّروا علينا في فهمِنا أو ثقافتِنا، أو أن يخلطوا الحقَّ بالباطلِ فيعرضوه علينا، قال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسَعه إلا أن يتبعني**»[2]

(١) رواه أحمد عن أنس بن مالك، وأبو داود في كتاب الجنائز - باب: في عيادة الذمي (الحديث: ٣٠٩٥).

(٢) رواه أحمد وابن أبي شيبة والبزار، قال ابن حجر في «الفتح»: ورجاله موثوقون إلا أن في مجالد ضعفا: ١٣/ ٤٣٤.



فنهاهُ عن أن يأخذَ من تلك التوراةِ التي حرَّفوها وبدَّلوها، فانظر إلى هذا الميزانِ العجيب .. ومع ذلك كم استقرضَ من اليهودِ في المدينة؟ حتَّى ماتَ يوم مات ودرعُهُ مرهونٌ عند يهودي[1] صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

**إن غياب السيرةِ النبويةِ عن أذهانِ المسلمين وعدم تفاعلِهم معها هو الذي يوقعُهُم في ورطاتِ الانزلاقِ وراءَ ذلك الإفراطِ أو التفريط، ذلك الغلو أو الإهمال والتقصير. فلابد أن نتداركَ أنفسَنا وأمَّتنا من حوالينا.**

وإنَّ من مظاهرِ ذلك التفريطِ أن يُعدَّ التسيُّبُ أو يعدَّ التساهلُ بالقيمِ مظهرَ تقدمٍ أو حضارة! تصورٌ لا أساسَ له من منطقٍ ولا عقل، ولا يصح بوجهٍ من الوجوه.

الدَّيَاثَةُ حرَّم اللهُ الجنةَ على أصحابِها، قال أحد الصحابة: ومَن الديوثُ يا رسولَ الله؟ قال: «**الذي لا يبالي من دخلَ على أهلِه**»[2] ومع ذلك كم تردَّدَ الصحابةُ على بيوتِ أمهاتِ المؤمنين، وكم سألوهن، وكم تعلموا منهن؟ تركَهم رسولُ الله على تلكَ الوسطية.

(١) رواه أحمد عن عبدالله بن عباس، والطبراني في «الكبير» ورجاله موثوقون. ورواه البزار بإسناد حسن.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن عمار بن ياسر، والبيهقي في «شعب الإيمان» في باب الغيرة (الحديث: ١٠٨٠٠)، والسيوطي في «الجامع الصغير» وقال: حديث حسن.

CamScanner

## الوسطية في التعامل مع المرأة

من عجائبِ مظاهر الوسطية ما تَمَّ كما فهمتُ من العميد من تخصيص بعضِ الأقسامِ عندَكُم لدراسة البنات، فهُنَّ في خِضَمِّ هذا الواقعِ الذي نعيشُه، تحتاجُهن الأمة، تحتاجهن في نقاءِ الفكرِ وصفاءِ الذهنِ وصدقِ العزيمةِ وعمقِ الفهم، للكرامةِ التي أوتينَها من ربِّهن، بواسطةِ الشريعةِ التي أكرمَتْهنَّ ورفعَتْهُنَّ في منازِلِهن، وجعلتْ لهن ذلك المنهاجِ الذي تحولت به المرأةُ من الجاهليةِ التي تظلمُها إلى نورِ الإسلام الذي يكرِم الرجلَ والمرأةَ والصغيرَ والكبيرَ والقريبَ والبعيد، ويجعلُ على المدرك والفاهِمِ حقوقًا لذلك الجاهلِ وخالي الذهن، ويجعل على الكبيرِ حقوقًا لذلك الصغير، كما يجعلُ على ذلك الجاهلِ حقوقًا تليق بذلك العالم، وعلى ذلك الصغير حقوقاً لائقةً بمن هو أكبرُ منه من توقيرٍ واحترام، فامتزجَ المجتمعُ في هذه الوسطيةِ بامتزاجٍ غريبٍ وتلاحمٍ بديع، في إقامةِ المصالحِ والتعاونِ على موجباتِ حقيقةِ السعادة، وكم عمل قِصارُ النظرِ من شرارِ البشر على ظهرِ الأرض من إفسادٍ بواسطةِ الأفكارِ التي تُلقَى على الشبابِ والشاباتِ من أبناءِ المسلمين فأغوَوهم وأغرَوهم، فما جنَوا ولا حصدوا إلا رذيلةً وانحطاطاً وتفكُّكاً وفساداً كبيراً شوهد في كثيرٍ من دولِ الأمة.



تعجَّبَ الشيخُ الشعراوي عليه رحمةُ الله لما وفدَ مرةً من إحدى الجمعيات النسائية في أمريكا وفدٌ إلى مصر، واجتمعوا مع نساءٍ من القاهرةِ فكان طرحُ رئيسةِ الوافداتِ من أمريكا أن ما عانينَه من المشاكلِ في مجتمعهن لا ترى لها حلاً إلا أن تعودَ المرأةُ إلى إقامةِ بيتِها على الوجهِ الطيِّب.

عانَوا من تفكُّكٍ في الأسرِ وصارت المرأةُ في الغربِ عبارةً عن بضاعةٍ لا قيمةَ لها إلا شهوةَ الرجلِ ما دامت مُشتهاة، ثم لا قيمةَ لها بعد ذلك في الواقعِ وفي ذلك المجتمعِ المنحطِّ الرذيل، وعانَين ما عانَين من الشدائد، قال الشيخ عليهِ رحمةُ الله: عجب .. عندنا بدأن يقلن نريد أن نخرج من البيوتِ! على وجهٍ لا يتناسبُ مع قيَمِهن، إلى الإقتداءِ بأولئك المنحطَّاتِ وأولئك الساقطات، فسبحانَ الله!! أي قدوة ارتضاها اللهُ لنسائنا في الحياة؟

إن الجبارَ في كتابِهِ لَمَّا ضرب المثلَ للمؤمنين والكافرين قدَّم لنا مثالَ النساءِ في الجانبين الاثنين، مشيراً إلى أن هذا العنصرَ قويُّ الأثرِ إن صلحَ في الإصلاحِ وإن فسدَ في الإفسادِ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾[التحريم: ١٠] لَمَّا أرادَ اللهُ ضربَ المثلِ جاء بامرأتين ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١]

تلك الثابتة، تلك الصادقة، صاحبةُ العزيمة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] صاحبةُ الإيمانِ تطلبُ الجِوارَ قبل الدار، قالوا: قدَّمت ﴿عِندَكَ﴾ على ﴿بَيْتًا﴾ فقبل أن تقول بيتاً قالت ﴿عِندَكَ﴾ إشارةً إلى ما تشبَّعت به روحانيتُها من القرب إلى الله والحضورِ في حضرةِ عنديَّتِهِ ودنوِّه ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١] قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] صاحبةُ العفةِ والأدب.

فهذه الوسطيةُ في هذه الشريعة تقيمُ الرجلَ وتقيمُ المرأةَ على ذلك الأساسِ المتين، من المحافظةِ على الثباتِ وعلى العزيمةِ وعلى الخلقِ القويم، وعلى الأدبِ في الخطابِ والأدبِ في التعامل، يقولُ سبحانهُ وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقال عند مخاطبتِهن للرجال ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] تكلَّمي، خاطبي، لكن لا تخضعي بالقول، لا ترقِّقي الصوتَ لتُلفتِي النظر، لتبعثي شراً فيمن أمامك: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقد جاءَ غلوُّ اليهود أنهم كانوا إذا حاضت المرأةُ لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يبيتوا معها في بيتٍ واحد بل يخرجونها مستقلة، فجاءت



شريعةُ الإسلام: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وآكلوهن وشاربوهن.

كما ثبت أنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يجالسُ نساءه ويخاطبهن ويكلمهن، بل قد ورد أنه يكون أحياناً معتكفاً في المسجدِ فيمدُّ رأسَه إلى بابِ حجرة السيدة عائشة فتمشِّط رأسه[1].

ولما أرادَ أن يفرِّطَ بعضُ الصحابةِ وقالوا: هل نخالفُ اليهودَ إلى حدِّ أن نواقِعَ الحائض؟ غضبَ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا»[2] هنا حدود، هنا وسط، نحن نخالفهم، لا نبتعد عن ديارهن

(١) روى البخاري عن عروة أنه سئل: أتخدمني الحائض، أو تدنو مني المرأة وهي جنب؟ فقال عروة: كل ذلك علي هين، وكل ذلك تخدمني، وليس على أحد في ذلك بأس، أخبرتني عائشة: أنها كانت ترجِّل - تعني رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حائض- ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ مجاور في المسجد، يُدني لها رأسه، وهي في حجرتها، فترجله وهي حائض (الحديث: ٢٩٢). وأخرجه مسلم في الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله .. (الحديث: ٢٩٧).

(٢) إشارة إلى حديث أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت. فسأل الصحابة النبيَّ صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فقال صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول: كذا وكذا. أفلا نجامعهن؟ فتغيَّر وجه رسول الله حتى ظننا أن قد وجد عليهما. فخرجا =

ضوئيا بـ CamScanner

ولا عن مؤاكلتِهن ولا مشاربتِهن، ولكن لا نقرب الزوجةَ الحائضَ فذلك حرام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

❑ ❑ ❑

= فاستقبلها هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارها فسقاها. فعرفا أن لم يجد عليها. رواه مسلم في كتاب الحيض، باب جواز غسل رأس زوجها وترجيله (الحديث: ٣٠٢).



## منهج الوسطية في التعامل مع الظلم والظالمين

حاجتنا معشر الأمة إلى مواجهة الظلم والعدوان والطغيان والبغي إن دخلنا فيها بأفكارِنا المجردة أو بمجرد تصوُّراتنا فقد ساوَينا غيرَنا ممن على ظهر الأرض، إننا نقاوم ونواجه ونقابل بما أرشدنا إليه الإله الكريم سبحانه وتعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٩-٤٠].

إن ما يسمع عنه المسلمون ويشاهدون بعضَه بواسطة الأجهزة مما يجري لإخواننا المسلمين في فلسطين، وكثيرٌ من الشنائع قد جرت في تاريخنا الحديث في كوسوفا، كما جرت في البوسنة والهرسك حوادث وشئون شنيعة فظيعة غاية في الهمجية والكبرياء والغطرسة يقشعرُّ منها البدن.

وكل هذا يُظهر وجهَ الكفر، ويقودُه أفرادٌ وأعدادٌ من الكفرة الفجرة شرار أهل الأرض؛ فهم وغيرُهم مدعوُّون بدعوتنا إلى الحق تبارك وتعالى، وإسلامُهم خيرٌ وأحبُّ لنا مِن قتلِهم لأنه هو المقصود الأول.

فنحن لا ننطلق مِن عصبيةٍ مجردة ولكن عصبية حقٍّ لحَق،

ضوئيا بـ CamScanner

وعصبيةُ الحقِّ للحق تقتضي: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[التوبة: ١١] تقتضي: لما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليَّ بن أبي طالب إلى قلعةِ اليهودِ الكبرى وحِصنهم في خيبر، أخذ التوجيهات من القائد .. على ماذا أقاتلهم يا رسول الله؟ هل أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «**أنفذ على رسلك حتى تنزلَ بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه، فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من أن يكون لك حمرُ النَّعم**»[1] وفي رواية: «**خيرٌ لك من الدنيا وما فيها**».

إن الطغيانَ والبغيَ والعدوان لا يفقدُنا حقيقةَ كرامتِنا وعزَّتنا وعلوِّنا، لا يجعلنا لُقمةً سائغةً ليلعبوا بنا كما شاءوا، أو نقول لهم تفضلوا وادخلوا ديارَنا وافعلوا ما شئتم، لكنا لا نردُّ بمجرد الانطلاقاتِ الجسديةِ وحدَها دون العلاقة الوثيقة بحقيقة الإيمان وحقيقة التربية والتزكية التي بفقدِها وصلنا إلى هذا الحال وتسلَّطوا هم علينا.

ألا إن الأمةَ لن تُغلبَ بعدوٍّ من خارجها قط كما وعدَ اللهُ نبيَّه، لكن مصائبَنا معشر الأمة أننا نُؤتَى مِن داخلنا مِن بيننا ومِن بني جِلدتِنا،

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة - باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي رضي الله عنه (الحديث: ٣٤٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة - باب: من فضائل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه (الحديث: ٢٤٠٦).



ذلك الفهمُ الخاطئ لتلك الرغبات في الدنيا التي تُنسي الآخرة، وتُنسي حقائقَ الإيمان التي يصدقُ على أصحابها قولُ ربِّكم في القرآن: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩] تلك الإرادة التي يُنسى في جنبِها جانبُ الآخرة أخذت كثيرًا منا فصاروا أياديَ وأعوانًا لأولئك الكفار والفجار.

إننا نعتقد أننا بتطهيرِ قلوبنا على بعضِنا نقربُ خطواتٍ من النصر في فلسطين ومن النصر في كشمير ومن النصر في الشيشان التي فيها اليوم العجائب والغرائب، ومن النصرِ في العراق التي احتُلَّت وجاءوا إليها.

إننا نعلم أننا بدَمعةِ العيون مِن خشيةِ مَن يعلمُ ما تسرُّون وما تعلنون في جوف الليل نقربُ خطواتٍ كبيرة مِن النصرِ في هذه المجالات كذلكم قال الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وكذلكم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**»[1].

خلُوُّ القلوب مِن إقامة ركيزةِ الاعتمادِ على الله وصدقِ الالتجاءِ

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (الحديث: ٢٧٣٩).

ضوئيا بـ CamScanner

إليه حالَ بيننا وبين تحقيقِ النصر، جهلُ الأعدادِ والألوفِ المؤلَّفةِ بمبادئ الدين وفرائضِه الأولى، فكم مِن تاركٍ للصلاة .. وكم مِن مُصلٍّ على بطلانٍ في الصلاة .. وكم مِن متهاونٍ في أمرِ أهلِه وأولادِه بالصلاة .. فهذه أسبابٌ لدخولِ أولئك إلى ديارنا. تفقَّهنا هذا الفقه مِن خلال هذه الشريعة، من خلالِ هذا الدين، من خلال منهجِ النبي، مِن خلالِ منهجِ الصحابةِ رضي الله عنهم وأرضاهم.

إن سيدَ الوجودِ صلى الله عليه وآله وسلم قابلَ الفئاتِ المختلفة، ولما انتهى في آخرِ حياتِه إلى الحربيِّين الذين أخرجوه من بلده قال قولتَه الشهيرة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[1] وهو لم ينسَ وضعَ السلى على ظهرِه، وهو لم يكن ناسيًا وضعَ الشوكِ في طريقِه، وهو لم يكُن ناسيًا خَنقَه حتى كادوا أن يقتلوه، وهو لم يكن ناسيًا يوم أن خرج إلى الطائف فرُمي بالحجارة حتى سَالَ الدمُ من عقبِه الشريف، ورجع ولم يدخل مكة إلا في جوارِ أحد الكفار واسمه المطعم بن عدي .. لكنه لم يكن يحارب انتقامًا لنفسِه، ولا تَشفِّياً لغيظِه، ولكن كان يقاتلُ لهدايةِ الخلقِ إلى ربِّهم سبحانه وتعالى.

وأيامَ كان مُستضعفًا في مكة المكرمة لم يفكر أن يأتي في الليل ليكسر صنمًا من أصنام أولئك القوم، ولا أن يبعث بعضَ أصحابه

(١) رواه ابن أبي شيبة والبيهقي وابن إسحاق بإسناد حسن.



في الليل ليرموا حجرًا في بيتِ أحدِ زعماءِ الكفار، ومضت الثلاث عشرة سنة – عشرُ سنوات منها بعد أن أظهرَ الدين – وكلُّها في عِداءٍ منهم وفي أذًى له، وهو الصابرُ المحتسب، ثم قدِم صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة المكرمة في عام سبعٍ من الهجرة في عمرةِ القضاء وطاف بالبيتِ وحولَه ثلاثمائة وستون صنما، ولم يكن أيامَ كان بمكة ولا وقت عودته في السنة السابعة من الهجرة في عمرة القضاء متحرِّزًا أن يصليَ عند الكعبة، وأن يسجدَ لربِّه عند الكعبة والأصنام فوقَه، فكان يسجدُ في ذلك المكان للإله الواحدِ الرحمن، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.. هذه وسطيَّتُه.

ولما تمكَّن وتيسَّرت له الأسباب الظاهريَّة وفتحَ مكة وقامت القدرة أخذَ يشيرُ إلى الأصنامِ ويكسِّرها صنمًا صنما وهو يقرأ قولَ الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

ثم أخذت به وسطيَّتُه مراعاةً لهم حتى وقد أسلموا وهم ضعفاء في الإسلام، أخذ يقول لعائشة: «**لولا أن قومَكِ حديثوا عهدٍ بجاهلية لغيَّرت بناءَ الكعبة وأعدتها على قواعد إبراهيم وجعلت لها بابين وألصقتُهما بالأرض**»[1] فترك كلَّ هذا المشروع رعايةً للنفوس

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن الزبير.

ضوئيا بـ CamScanner

التي حواليه إذ هو الأمينُ على حُسنِ البلاغ وإنقاذ الناس وتقريبهم إلى ربهم، فما أرحمَه وما أشفقَه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

إننا نستعرض موقفَه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في غزوة أحد وقد شُجَّ جبينُه، وجُرحت وجنتاه، وشُقَّت شفتُه، وكُسِرت رباعيتُه، وقُتِل سبعون مِن أصحابه، وجُرحَ بقيةُ الصحب، وجُرح هو جروحًا كثيرة .. ثم رُفع إليه أن ادعُ الله عليهم يا رسول الله، فرفع يديه قائلا: «**اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

القيام بهذا المستوى ليس فيه فتحُ بابٍ لعدوِّ الله ولا ضعفٌ أمامَ هذه الأرواح التي عزَّتها أن تُسلَّم في سبيل الله تباركَ وتعالى؛ وبُشرى لمن قُتلَ في سبيل الحقِّ جل جلاله ونالَ الشهادةَ وقاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العليا، ولكن لا يجوز أن تُفهم الأمورُ فهمًا سطحيًّا ولا قاصرا، إنما يجبُ أن نستكملَ معاني صلتِنا بالدينِ في واقعِ الحياة، لا يتصور ذلك أننا وسطَ بلادِ الإسلام اليوم نأخذ أخلاقَ اليهود ونتفرجُ على أفلامٍ يصيغُها اليهود، ثم نسلِّم أولادَنا إلى برامجَ أقاموها وصاغُوها يتفرَّجون عليها بواسطة الإنترنت ليل نهار، أنكون على هذا المستوى؟ تتأثر عاداتُنا بأفكارِهم وأخلاقِهم ثم نريد أن نقوم على اليهود ونأتي بسبابٍ وشتائم

(١) أخرجه ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه.



لا تقدم ولا تؤخر ولا تفيد شيئا، بل ربما نفَّرت وربما بعَّدت، يصير الحال كما قال بعضُ العارفين: لا تلعن الشيطانَ في الجهر وتطيعُه في السر. لا تسب الشيطان وتلعنه ثم لا ندري بك إلا وأنت تسير في خطته، يأمرك أن تؤذي هذا فتؤذيه، يأمرك أن تتكبر على هذا فتتكبر، يأمرك أن تقطعَ الرحم فتقطعها .. اِعقل.. فليست المسألة خُطبًا نُلقيها، وليست المسألة إظهار حماسٍ وقتيٍّ وآني، المسألة صِلةُ أرضٍ بسماء، صِلةُ عبادٍ بمنهجِ رب العباد، يغارون عليه ويحمونه وينطلقون على أساسه من حيث ما قدروا: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

إن الصادقَ من إخواننا أولئك بالدرجةِ العالية، وإنهم لمظهرُ العزة والكرامة، وما نِيلَ منهم إلا ما أوجبَ لكلِّ صادقٍ مخلصٍ منهم شرفًا ورفعةً وسموًّا.

وإننا مع ذلك كلِّه لسنا بمعفيِّين عن حرقةِ القلوب أمامَ ما يجري، وعن سيلانِ الدموعِ وخصوصًا في الخلوات، وعن بذلِ المال الذي نقدرُ على بذله وعن نيةِ أن نصطفَّ في صفوفِ الجهاد مهما توضَّح الأمرُ وتبيَّن السبيلُ وتيسَّر القيامُ بذلك على الوجهِ الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى، مجاهدينَ أنفسَنا أن لا يكون لنا مرادٌ إلا الله تعالى في علاه، وعلِمنا بهذه الكيفيةِ التي ندعو بها الحكومات التي ظهر منها الظلم فنقول لهم: إننا نُعادي كلَّ ظلمٍ منكم وبَغيٍ وعُدوان، ونعتقدُ أنكم بذلك على شفَا

ضوئيا بـ CamScanner

جُرف هارٍ مُلقينَ بأنفسِكم إلى النار، إنا ندعوكُم إلى أن تراجِعوا أنفسَكم فيما تتصرَّفون فيه بلاغًا ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

إننا ندعو؛ وقد أرسل الله بالدعوة رسلاً إلى مَن علم أنهم لن يؤمنوا، ونبينا الذي أنزل الله عليه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦] لم يتوقف عن دعوتهم بعد نزولِ هذه الآيات وأخذ يدعوهم.

وإن الله سبحانه وتعالى قال لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وربنا قد علم أنه لن يتذكر ولن يخشى ولن يرجع، وسيُصر وسيُعاند، لكنه أقام العبادَ على مقام الأدب وقال: أنتم لينوا له في القول عسى أن يتذكر أو يخشى، وقولوا له لا تعذب بني إسرائيل ظلمًا وعدوانًا، قال تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

ذلك لأننا منطلقون من منطلقِ قوةٍ حقيقية، إن كان اعتمادهم على خِططٍ مع مخلوقين فاعتمادُنا على إلهٍ أرسل رسولَه بالهدى ودين الحق فلن نذل ولن نخزى، وسيأتي ولاشكَّ وقت يختبئ فيه اليهود وراءَ الشجر والحجر، ويُنطِقُ اللهُ الأشجارَ والأحجارَ فتقول للمسلمين:



«يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتُله»(١) كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق.

لكن أن نَتعَامى عن انتشار برامِجهم بيننا، وتأثُّر أخلاقِنا بما ينشرونه، واتِّباعُنا لهم حتى تخرج عظمةُ الله ورسولُه من صدورنا، وتحصل إهمالاتٌ في الواجبات، في الفرائض، في الصلوات، في الزكوات من بيننا، وتدابُر وتقاطُع في الأرحام، ثم نقول إن الواجب أن نسبَّ ونلعن .. فليس ذلك بالمسلكِ القويم ولا الصراط المستقيم.

لقد دخل ابن الخطاب الفاتح الأول لبيت المقدس آخذاً لها من الكفار بتواضُعه والقميص مرقَّع برقعٍ بعضُها من الجلد بأدبِهِ مع الرب، يقود جملاً يركبه خادمُه رضي الله عنه وأرضاه، ثم جاء إلى بعض كنائسهم فزارَها وأقامَ حكمَ الله، ورجع عليه رضوان الله إلى المدينة المنورة وقد رفع رايةَ الإسلام في تلك البلاد، الشجاعة الحمية الغَيرة العزيمة، الخلق الكريم المنهج المستقيم إلى حد أن زار بعض الكنائس لما طلبوا منه أن يزورها رضي الله عنه وأرضاه.

وهكذا دخل الفاتحُ الصالحُ الصادق صلاحُ الدين الأيوبي بأدبه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب: قتال اليهود (الحديث: ٢٧٦٨) ومسلم في كتاب الفتن - باب: لا تقوم الساعة حتى يمر .. (الحديث: ٢٩٢٢).

ضوئيا بـ CamScanner

وخضوعه وبكائه في الليالي وتأثره بدعواتِ الأخيار الأبرار واتصاله بالسند عن شيوخه الذين أخذ عنهم واتصل بهم، حتى كان كثيرَ البكاء في الليالي وفي الظلمات وفي الخلوات، وكان لما دارت طُرفةٌ ولم يضحك، قال: إني أستحيي من الله أن يراني ضاحكًا وبيت المقدس يُداس بأقدام الصليبيين والكافرين! عليه رضوان الله، ثم ما إن دخل بيت المقدس إلا ودخل أناس في دين الله تعالى أفواجًا من أثر تلك المعاملة القويمة السليمة.

فعلى ذلك المنوال فلنمضِ ولنبدأ في معاملتهم بالدعاء والتضرُّع، وإقامة الأسر والأولاد على الطاعة، وإبعادِ برامج الكفر والدعوات إلى الانحطاط في الأخلاق والسلوك، وحُسن الارتباط بالقرآن، ونَشرِ الأخلاق الفاضلة بيننا، وبَذل المال الذي نقدر عليه قلَّ أو كثر .. هذه الخطوات الأولى وهي متتابعةٌ قليلُها يؤدِّي إلى كثيرِها، وصغيرها يؤدي إلى كبيرها، وموازين الشريعة قائمة في كل مرحلةٍ نمر بها .. ثبتنا الله ووفقنا لما يحب.

❑ ❑ ❑



## منهج الوسطية في التعامل مع الفئات المختلفة

أيها الإخوانُ الأكارم: وهذه المفاهيم مع ترابطِها بالتعاملِ العام مع أصنافِ الناسِ من حوالينا، وكيف نرجِّحُ جانبَ حسنِ الظنِّ على سوئهِ مع الصغيرِ والكبير؟ وكيف نعرفُ أن حرمةَ لا إله إلا الله كبيرةٌ عندَ الله توجِبُ حرمةَ دمِ صاحبِها وعِرضِه وأن لا تظُنَّ به ظَنَّ السوءِ «**فإذا قالوها عصموا مني دماءَهم وأموالَهم**»[1].

كما جاء في حديث أسامة بن زيد الذي كان في حرب مع الكفار، فلقي أحدَهم فقتلَه بعد أن قال لا إله إلا الله، فلم علم النبي صلى الله عليه وسلم، خاطبه قائلا: «**أقال: لا إله إلا الله وقتلتَه؟**» قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: «**أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا**». فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[2].

قامَ هذا الميزانُ حتى سمعَ النبيُّ محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلمَ أنَّ بعضَ الصحابةِ قال للآخر: يا ابن السوداء، فقال له لـمَّا قابَله: «**إنك**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب: قول الله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الحديث: ٦٩٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان –باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .. (الحديث: ٢١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب تحريم قتل الكافر (الحديث:٩٦).

ضوئيا بـ CamScanner

**امرؤٌ فيك جاهلية**»[1] «**وهل لابنِ البيضاءِ فضلٌ على ابنِ السوداءِ إلا بتقوى الله**» وفقِهَ سيدُنا أبو ذر الدرسَ، وذهب إلى سيدنا بلال يقول له: تعال، أنا قلت لك تلك الكلمةَ وأنا مخطئ، قال: قد سامحتُك، قال: لا .. هذه جبهتي وهذا وجهي أضعه على الأرضِ فَدُس برجلِكَ على وجهي حتى تخرجَ تلك الكبرياءُ من باطني، قال: قد سامحتُك وعفوتُ عنك، قال: والله لا أطمئنُّ ولا تطمئنُّ نفسي حتى تضعَ رجلَكَ على خدِّي وعلى وجهي[2] كي تخرجَ الغطرسةُ كلُّها من باطني .. فما أعجبَ ذلك الأدب، الذي أدَّبَهم عليه حبيبُ الرب صلى الله عليه وآله وسلم.

**أيها الأخوان الأكارم الأساتذة الأفاضل والطلاب**: أنتم في محلِّ أمانةٍ كبيرةٍ في الخروجِ بالمنهجِ القويمِ إلى أُسرِكم وإلى محيطِكم وإلى أصدقائكم وإلى مَن حواليكم.

إنَّ صداقةً لا تقومُ على التقوى تتحولُ إلى عداوةٍ قد تكون في الدنيا، وفي يوم القيامةِ يقيناً، قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**فلينظر أحدُكُم مَن يخالل**»[3].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان والنذور - باب: إطعام المملوك مما يأكل (الحديث: ١٦٦١).

(٢) رواه ابن المبارك في البر والصلة.

(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح في كتاب الأدب - باب: من يؤمر أن يجالس (الحديث: ٤٨٣٣) =



ألا إن مُعينَك على غضِّ البصر، ألا إن مُعينَك على أداءِ الصلاةِ في وقتِها هو الخليلُ الصادق، هو الصديقُ النافعُ الذي تنتفعُ بصداقتِهِ في الدنيا وفي الآخرة، حيث يتقابلون إخواناً على سررٍ متقابلين، وحيث يُظَلُّونَ في ظلِّ عرشِ الرحمنِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه. المتحابون في الله والمتآخون في الله.

فقوموا بحقِّ هذه الأخوَّة، وانطلقوا إلى مجتمعاتكم وإلى نظرِكم إلى ما يدورُ في العالَمِ من هذا المنظار، منظار الغَيرةِ والرحمة، منظار الثباتِ وحسنِ البيان، منظار العزيمةِ وكريمِ الخلق، اجتمعوا بين ذلك على حدٍّ قويمٍ سواء .. انطلقوا به فكم تحتاجُكُم الأمة، كم تحتاجُ إلى انطلاقكم بهذا الأساسِ وعلى هذا المنهاجِ حتى نُكفى شرَّ تلك البلايا التي داهمَتنا إلى البيوتِ والأسواقِ والشوارع، وطاردَتنا حتى إلى مساجدِنا في أوقاتنا هذه؛ ما أحوجَنا لأن نتغَلَّبَ على الأهواءِ التي باعدَتْ بيننا، وفرَّقت بيننا، وحمَّلتنا من الظنونِ والأوهامِ ما جعلَ قلبَ الواحدِ على الآخرِ يظنُّ ظنَّ السوءِ ويريد له السوء، وكلُّ ذلك مما نُهينا عنه ومما أُعلِمْنا بشريعةِ الله أنَّه يباعدنا عن الله، ويقرِّبنا من سخطِ الله، وتُردُّ به علينا أعمالُنا، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**تُعرض الأعمالُ في كل اثنين وخميس**

= والترمذي في أبواب الأدب (الحديث: ٢٤٨٤) وقال حديث حسن غريب. والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله.

ضوئيا بـ CamScanner

**فيغفر اللهُ لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»**[1].

ألا فلنرجعْ إلى أخذِ الوسطيةِ على وجهها ولنُحسنِ التعاملَ مع تلك الفئات، ولنُرِ الكفارَ محاربيهم، وذمِّيِّيهم، ومعاهَديهم ما دعانا إليه الحقُّ مترجَماً في مسلكِ نبيِّنا المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

ألا إن الكفارَ غزوا المسلمين، وجاءوا إلى بغدادَ واستباحوها، وآذوا المسلمينَ أيامَ حربِ أولئكم التَّتار، ثم برزَ لهم منهجُ الوسطيةِ من بين المسلمين فتحوَّل عامتُهم مِن مقاتلين للمسلمين ومُضادِّين للإسلام إلى مسلمين ينصرون الإسلام ..

فهكذا تفعلُ مظاهرُ الجمالِ الإسلامي جمالُ النبوة الذي كسا اللهُ به حبيبَهُ محمداً الذي مَن نظرَ إلى وجهِهِ علم أنه ليس بوجه كذَّاب، يقولُ عبدُ الله بن سلام، وكان عالماً من علماءِ اليهودِ فصارَ عالماً من علمائنا، من صحابةِ نبيِّنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم: لما استبنتُ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا والناس نيام.. تدخلون الجنة بسلام**»[2].

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة - باب النهي عن الشحناء (الحديث : ٢٥٦٥).

(٢) رواه الترمذي وقال حديث صحيح، والحاكم وقال حديث صحيح الإسناد.



## منهج الوسطية يجمع المسلمين

مما سبقت الإشارة إليه يتبين أننا نتمنى أن يُسلم ألدُّ الأعداء من الكفار على ظهر الأرض، أيظنُّ بعد ذلك ظانٌّ أن مِن مسلكنا ومنهجنا في المحاضرات وغيرها أن نسميَ فئات المسلمين لننتقص منهم، أو لننالَ من اسمهم أو منهجهم أو واقعهم، ونحن الحريصون على أن يسلِموا، فإن حرَصنا على مَن كفر فحرصُنا على مَن دخل معنا في دائرة الإسلام أكثر وأوفر .

ويجب البيان أن معاني الغلو والتطرف أو التقصير والإهمال تتجلَّى في جوانب التشدُّدات المؤدية إلى الخروج عن الحدِّ المعلوم في الشرع، الانفعالات التي يخرج بها الإنسان عن طَور أدبِ الإسلام، الإهمالاتُ التي يضيِّع بها المرء الفريضة، أو يقعُ بها في القطيعة أو يؤذي بها الناس أو يشتِّت بها شملَ المجتمعين من المسلمين، أو يثير البغضاءَ أو الشحناءَ فيما بينهم، أو يستحسنُ أزياءَ خارجةً عن الحدِّ والأدب، فليس من الوسطية أن يُجعلَ الدينُ كلُّه في مظهرِ لباس، أو أن يُحتقرَ صاحبُ أيِّ لباسٍ لا تحرِّمه الشريعة، وليس من الوسطية استحسانُ ما خرجَ عن الحشمةِ والأدبِ واللياقة، ولا أن نصلَ إلى حدِّ التبعيةِ لموضات ومصانعَ تُصنعَ في بلدِ الكفرِ ليُقالَ هذا لباسُكم الذي تتغالُون به.

ضوئيا بـ CamScanner

الآن نحن أكبر من أن نكون إمَّعات أو تبعًا لأولئك الخالين من القيم والشرف، ونحن أعظم من أن تضيقَ صدورُنا لأيِّ لباسٍ لا تحرِّمه الشريعة، أو أن نحتقرَ صاحبَ أيِّ لباسٍ، أو أن نستهزئَ بلباسِ السنةِ المصانةِ الواردِ عنه صلى الله عليه وآله وسلم، فالمسألة عندنا أكبرُ من احتقارِ سنة وأكبر مِن احتقارِ مسلمٍ لبسَ أيَّ زيٍّ لا تحرِّمه شريعةُ الله، ولا يخرج عن الحشمةِ والأدبِ واللياقةِ به.

❑ ❑ ❑



## منهج الوسطية في الدعوة إلى السلام

وسطيَّتُنا إذا دعونا إلى السلام أن ندعوا إلى سلامٍ يقومُ على العدلِ وإعطاءِ الحقِّ لصاحبِهِ وإنقاذِ الناسِ من الشرِّ إلى الخير، ومن السوءِ إلى الحسنِ والهدى.

وما يدَّعيهِ بعضُ أهلِ الأرضِ من دعوةٍ إلى السلامِ يريدون بها قضاءَ الأغراضِ والمصالحِ وانتهاكِ الحرمات وأخذِ ما يحلو لهم مما يقدرون عليه مِن حقِّ الغير، ذلك سلامُهُم ! لكن السلامَ الذي هُدينا إليه هو سلام الوسطيةِ والاعتدال، سلام النور . قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

شعارُ المسلمين السلام، فلتكُفَّ الألسنُ الكاذبةُ على ظهرِ الأرض، ولتنطقْ ألسنُ الصدقِ بحقائقِ السلام، ولنتعاونْ على ذلك بوسطيَّتِنا في العبادة، بوسطيَّتنا في النظر، بوسطيَّتنا التي هي التخلصُ من الأهواءِ والأغراضِ إلى الانقيادِ الصادقِ للخلاقِ ورسولِه صلى الله عليه وآله وسلم .. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

ضوئيا بـ CamScanner

حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

ويمكن معالجةُ التطرف الذي يسيء إلى الدين بوجود التعاون من أولي العلم وأولي الأمر وأولي النفوذ في المجتمعات، إذا أدركوا حاجتَهم وحاجة الأمة إلى أن يرفعوا أنفسهم عن هوَّة الوقوع في التطرف والوقوع في التشدد والتحجُّر في النظر إلى مسلك الشريعة وإلى كيفيَّة تطبيقها والقيام بها.

إذا أدركوا هذا فبالتعاون على بيان الحقيقة وبيان نصوص وأصول الشريعة المطهرة بالوسائل المختلفة ومنها الحوار والخطاب والتدريس والتعليم واللقاءات والبذل والعطاء والوسائل المختلفة يذهب أساسُ حدوث التطرف، فالتطرف أصاب الناس عند غياب التربية القويمة القائمة على الأثر الصحيح، ثم عند إهمال أهل النفوذ في المجتمعات واجبهم فيما يتعلق بالحفاظ على مفاهيم دين الله تبارك وتعالى وأن يجنِّبوا مَن حواليهم الوقوعَ في ورطة التطرف والتعصُّب والتشدُّد الذي يشوِّه صورةَ الإسلام ويحدث تعباً كثيراً للناس في تعاملاتهم.

❑ ❑ ❑



## الخاتمة

شكرَ اللهُ تعالى سعيَ أخينا المحافظ، وأخينا رئيسِ الجامعة، وأخينا عميدِ الكلية، وأخينا رئيس قسمِ الدراساتِ الإسلامية، وأساتذة الكلية، والحاضرين من هؤلاء الطلابِ والطالبات، جزاكم اللهُ خيراً وجعلَ هذا مقبولاً عنده وفي صحائفِ الحسنات.

وإنها لساعةٌ يُسألُ عنها المتكلم والسامع يومَ تقومُ الساعة، فما نحن قائلون؟ فاعلموا أن الوسطيةَ ليستْ مجردَ كلماتٍ ألقيتُها ومحاضرةٍ مرَّتْ بنا في هذه القاعةِ ثم نمضي، لا وعزَّةِ ربي .. إنها أمانة، إنها خطاباتٌ إلهية، إنها واجبات، إنها منهاجٌ نُسألُ عنه وعن اتصالنا به فيما نُزاولُه من الأعمال، ونقومُ به في الأسرِ وفي الأصدقاء، وفي الأصحابِ وسطَ هذه الجامعة في أيِّ قسمٍ كنا، كيف نخلطُها ونمزجُها بنورانيةِ المراقبةِ للملكِ الجبار، وتَتبُّعِ آثارِ صفوته المختار، الذي رضيَهُ الأسوةَ لنا، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ألا إنه منهاجٌ عظيم، نُسألُ عنه يومَ الوقوفِ بينَ يدي الملكِ العظيم.

أسأل الله أن ينفعَ المتكلمَ والسامع والكاتبَ والقارئ، ويجعلنا جميعاً في المتعاونين على البرِّ والتقوى والهداةِ المهتدين، وينقذَ الأمةَ مِن ورطاتِ ظلماتِ التعصُّباتِ والنزاعاتِ والأهواء، وغلبةِ

ضوئيا بـ CamScanner

الشهواتِ والغضب، وخروجها عن زمامِ العقلِ والشرعِ إلى انضباطٍ واتزانٍ واهتداء واقتداءٍ واتباعٍ واقتفاء للأسوةِ العظمى والقدوةِ الكبرى سيدِ المرسلين، وخاتمِ النبيين، حبيب رب العالمين، لتحيا فينا أخلاقه وسيرتُهُ، ونبرزَ بها في العالَم، وندعوهم بالصورةِ الصحيحةِ للرسول من رب العالَم إلى هذا العالَم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

اللهم وفِّقنا وأعنَّا على ما تريده منا، وأقِم بيننا التعاونَ على ما يرضيك، وعلى بعثِ حقائقِ الفهمِ والفقهِ والدرايةِ والإيمانِ والصدقِ والإخلاص حتى ننجوا هنا وفي يوم ينفعُ الصادقينَ صدقُهُم من جميعِ الأسواء، والعذابِ الذي لا يُطاق، والحجابِ عنك، والوقوعِ في نارِك وفي سخطِك، أعذنا اللهم من كلِّ ذلك وأجِرنا، ووفقنا لما تحبُّ وترضى به منَّا وعنَّا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على المصطفى المجتبى سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله

رب العالمين



# المحتوى


| الموضوع .. | الصفحة |
|---|---|
| الوسطية في الإسلام | ٥ |
| الوسطية وسعة معناها في الشريعة | ٨ |
| الوسطية حقيقة من حقائق الدين | ١١ |
| الوسطية في الغضب والشهوة | ١٣ |
| حاجة الإنسان إلى التزكية | ١٤ |
| الأمة الوسط بين الأمم | ١٧ |
| منهج الوسطية في الدعوة إلى الإسلام | ٢١ |
| منهج الوسطية طريقٌ للنجاة | ٢٣ |
| بين غلو اليهود وتفريط النصارى | ٢٥ |
| منهج الوسطية في أدب الصحابة مع المصطفى | ٢٧ |
| الوسطية منهاج في التعامل والعبادة | ٣١ |
| الوسطية في بيان معنى الجهاد | ٣٤ |
| الوسطية في التعامل مع المرأة | ٣٨ |
| منهج الوسطية في التعامل مع الظلم والظالمين | ٤٣ |
| منهج الوسطية في التعامل مع الفئات المختلفة | ٥٣ |
| منهج الوسطية يجمع المسلمين | ٥٧ |
| منهج الوسطية في الدعوة إلى السلام | ٥٩ |
| الخاتمة | ٦١ |


ضوئيا بـ CamScanner